تفسير عشر آيات من سورة البقرة؛ مستلّ من التفسير المخطوط «أطيب الثمرة في تفسير سورة الحمد والبقرة»

آية الله السيد هاشم الحسيني الطهراني

الملخّص: يحوي هذا المقال تفسير عشر آياتٍ من سورة البقرة، وهو مستلّ من التفسير غير المطبوع المسمّىٰ «أطيب الثمرة في تفسير سورة الحمد والبقرة» تأليف المرحوم آية الله السيد هاشم الحسيني الطهراني (١٤١١-١٣٤١هـ).

هذه الآيات تشمل الآيات: (٢،٣١،٣٢،٣٣،٥٣،١٠٤،١٢٤،١٤٣،٢٥٣،٢٥٤) من سورة البقرة.. وقد حرص المؤلف هنا علىٰ ربط هذه الآيات الشريفة بأصل الإمامة المهمّ، كما ألحق هذا القسم بتفسير سورة الحمد المباركة؛ الشامل لستّ مراحل للهداية.

الكلمات المفتاحيّة: السيد هاشم الحسيني الطهراني؛ أطيب الثمرة في تفسير سورة الحمد والبقرة؛ تفسير سورة البقرة؛ الإمامة.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

المقدمة

ولد السيد هاشم الحسيني الطهراني فى سنة (١٣٤١هـ.ق) في مدينة طهران.. فتعلّم العلوم الأدبية فيها. و في سنة (١٣٦٠ هـ.ق) رحل إلىٰ مدينة النجف الأَشرف و مكث فيها سبع سنين؛ تتلمذ فيها على كبار الأساتذة. ثم عاد إلىٰ طهران في سنة (١٣٦٦ هـ.ق) تخللها المقام فترات في مدينة قم المقدسة، وانشغل بالتعلّم والتعليم. وكان من أساتذته في طهران وقم المقدسة: الشيخ رضا القاضي، الشيخ محمّدعلي شاه‌آبادى، الشيخ محمدتقى الآملي، السيد أبوالحسن رفيعي القزويني، الشيخ مهدي إلهي قمشه‌إي، الشيخ أبوالحسن الشعراني، السيد محمدحسين الطباطبائي.

ثم شدّ تارة أخرىٰ إلىٰ مدينة النجف الأشرف في سنة (١٣٧٣هـ.ق) وأقام فيها حتىٰ سنة (١٣٨٠هـ.ق)، وفيها تتلمذ علىٰ أساتذة كبار، مثل المرجع الديني السيد ابوالقاسم الخوئي، والشيخ محمدباقر الزنجاني، والشيخ حسين الحلّي. وفي سنة (١٣٨٠ هـ.ق) بقي في طهران وتزوّج.. وانشغل بالتعليم و التأليف وإرشاد الناس، حتّىٰ توفّاه الله تعالىٰ في يوم عرفة من سنة (١٤١١هـ.ق) فدفن في مقبرة باغ بهشت بمدينة قم المقدسة؛ مجاوراً مرقد السيدة فاطمة المعصومة3 مؤَمَّناً علىٰ جنازته الطيبة.

و بغضّ النظر عن التأليف والتحقيق.. فقد تخرّج عليه مجلة مميّزة من التلامذة.. الذين كان لكلّ واحد منهم – في الغالب – دور في تقديم الخدمات الجليلة في الإرشاد والهداية إلىٰ الدين القويم.. منهم: السيد عبدالعزيز الطباطبائي، السيد رسول الموسوي الطهراني، حسين أستاد ولي، السيد محمد الغروي الگلبايگاني، السيد حسن الموسوي الإصفهاني..

وقد قام تلميذه المغفور له حجة الإسلام محمدرضا كريمي (المتوفى محرم الحرام ١٤٤٣) بتصحيح ومراجعة بعض مؤلفات المرحوم، من قبيل كتاب (بوستان معرفت) وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب عناوين أحد عشر مؤلفاً لأستاذ، وهي: (تفسير سورة الحمد والبقرة، فارسي)، (تصحيح وتعليق علىٰ توحيد الصدوق)، (ترجمة ناقصة لتوحيد الصدوق)، (توضيح المراد في شرح كشف المراد، مجلدان)، (عقائد الانسان، أربع مجلدات)، (بوستان معرفت) ويشمل أكثر من ثلاث مئة حديث عن علم أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، (أفضل الأعمال في فضيلة وأحكام الصلاة، فارسي)، (علوم العربية، في الصرف)، (علوم العربية، في النحو)، (شرح الشواهد الشعرية).

و من جملة مؤلّفاته الجديرة بالاستفاذه العامة؛ تفسير لم يُطبع حتّىٰ الآن، وعنوانه كما في صفحته

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

الأولىٰ: (أطيب الثمرة في تفسير سورة الحمد والبقرة) ونسخة هذا التفسير الخطية، استنسخها الأستاذ كريمى عن خطّ المرحوم الطهراني تغمّدها الله برضوانه في الخامس من ربيع الثاني سنة (١٤٠٨ هـ.ق) في مدينة قم المقدّسة..و النسخة هذه تحوي(٨٣) ورقة، وقد اعتلت الورقة الأولىٰ عنوان الكتاب وصورة للمرحوم الطهراني.

من الجدير بنا هنا؛ أن نتحدّث عن خصائص هذا التفسير ولو بايجاز..

هو تفسير فارسي وميسّر، ومنهم بشرح المصطلحات والمفردات، وفيه إشارات نحوية وصرفية.. يعجّ بالأحاديث والروايات.. ضمن تفسير سورة البقرة، أما ما يتعلّق بتفسير سورة الحمد، فالروايات كانت أقلّ تناولاً وذكراً.

ويبدو أن اسلوب المرحوم الطهراني في التفسير، اسلوب اجتهادي، وهو قد استعرض المعارف واستخدم أدوات التفسير من دون الالتزام بأسلوب محدّد كما هو المعروف في تفسير القرآن أو في التفسير الروائي.. وكان الغالب علىٰ تفسيرة المعنيٰ الأدبي، وإن كانت ملامح الطريقة الكلامية بادية عليه، ممّا يحكي عن تخصّصه و إتقانه العلوم الأدبيّة و الكلامية..

أورد المرحوم الطهراني في مطلع تفسيره ترجمةً لسورة الحمد عنونها بـ (الترجمة) ثمّ الآيات اهتماماً، وأوردها تحت عنوان: (التجزئة) وفي المرحلة التالية أورد عنواناً آخر للآيات وبيان المصطلحات سمّاه: (التركيب) و: (اللغة – المفردة).

ثم إنّه أورد عنوان: (التفسير) ليشمل مختصراً لتفسير وتبيين الآيات.. أما إذا كانت الآيات تتضمّن مطالب مهمّة، فإنّه عالجها بذكر عدة فصول وأقسام.

هذه كانت الهيكلية في تفسير سورة الحمد.. أما تفسير سورة البقرة، فقد خلا عن ذكر عنوان (اللغة – المفردة) فى ما شرح المصطلحات في باب (التجزئة).

وفي هذا المقال: ننقل تفسير عشر آيات فى سورة البقرة، وهي التي لم تطبع حتّىٰ الآن.

***

تفسير عشر آيات من سورة البقرة

[١]

الآية ٢ من سورة البقرة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

ما هو الكتاب؟

الكتاب لغةً: مصدر، بمعنىٰ الكتابة. والكتابة: تدوين الحروف على جسم بنظم مخصوص.. والمدوّن: كاتب. و الحروف المدونة: مكتوب. و الجسم: المكتوب فيه.

والكتاب و إن كان في اللغة مصدراً، ولكنه يُنطق و يقصد به المكتوب فيه، كما هو المعمول و المتعارف في أن المصدر يستعمل بمعنى اسم المفعول، كما يستعمل بمعنىٰ اسم الفاعل أيضاً.

إما إن أعملنا الدقة، فان المكتوب الحقيقي، هو ذلک المطلب الذي أراد الكاتب إظهاره و إعلانه للآخرين.. فيما يعتبر التدوين للحروف بنظم مخصوص علىٰ جسم ما يُعد سبباً و آلة..

فإذا انتظمت المطالب العلمية علىٰ و ضمنى جسم، و إن لم يكن هذا الجسم موجوداً، ولم تتقولب تلک المطالب ضمن قالب الحروف، فيمكن و يصحّ أن يقال لذلک الموجود كتاباً، أي: مكتوب فيه، كما يقال لتلك المطالب كتاباً، أي: مكتوب.

و في القرآن المجيد، وردت قصة عيسى على نبينا و آله و عليه السلام بالشكل التالي: (قال اني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبياً) [مريم/٣٠]. ومعلوم طبعاً أن عيسى حيث كان في المهد لم تنزل عليه حروف أو جسم ورقي و غير ورقي.. و إنما الكتاب الذي آتاه الله تعالى كان علماً دُوّن في صفحة روحه، و لم يكتب هذا العلم بهيئة حروف.

و كذا ورد في القرآن الحكيم: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [الانعام/٧]. و يظهر من هذه الآية المباركة أنّ الذي أنزله الله على نبيه كان كتاباً، و إن لم يكن مدوّناً على ورق، بل كان منقوشاً على صفحة روح جبرئيل، ثم أنزله على قلب النبي٦، ثم بلّغها النبي٦ إلى الناس بقالب ألفاظ، ثم انتقلت من آذان الناس إلىٰ صفحات أرواحهم دونما نقش للحروف، ثم جرىٰ تدوينها علىٰ الورق وغير الورق بقالب حروف، فظهرت حتى وصلت إلىٰ ايدينا.. وفي جميع هذه المراحل، كان الكتاب هو مطالب علميّة، أو ذلک الموجود الذي انتظمت فيه المطالب، سواءً كان جسماً أو غير جسم أو كان حروفاً، أو لم يكن.. نعم؛ لا يمكن وصفُ الله تعالىٰ و علمه بالكتاب، لأنّ الكتاب بحاجة إلىٰ كاتب ليضع المطالب ضمن شيء، و هذا ما لا يتصور في الله تعالى فى هذه الجهة.

ما هو الكلام؟ و بماذا يختلف عن الكتاب؟

إذا ظهر المطلب العلمي من شخصٍ ما، عُدَّ كلاماً.. فإظهاره تكلّمٌ .. و المظهرُ له: متكلم.. و

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

عليه، فالكلام و الكتاب حقيقة واحدة، وهي هذه المطالب العلمية، و التفاوت يكمن في طبيعة الظهور والإظهار، فإذا جاء الظهور من موجود؛ فهو كلام، أمّا من حيث الثبوت والإثبات في موجود: فهو كتاب.. كما يقال لهذا الموجود كتاباً أيضاً.. و لا فرق في هذه المراتب بين أن تظهر الحقيقة العلمية من موجود بواسطة الآلات والأدوات الجسمية.. مثل الانسان الذي يستعمل الفم واللسان و مخارج الحروف.. و بين أن لا تكون ثَمّ واسطة، أو كانت الواسطة غير جسمية.. وكذا ثبوت تلك الحقيقة في شيءٍ ما، وسواءً في الذهن الإنسان أو الملك أو النّيّ أو اللوح أو صفحة ورقٍ.. و بأيّ شكل ظهر المطلب العلميّ من موجود؛ فهو كلام، و ما ثَبُتَ في موجود، فهو كتاب. و ذلک الموجود يدعىٰ كتاباً.

و عليه؛ فالقرآن الذي في أيدينا هو كلام الله تعالى، باعتباره مطالب علمية قد ظهرت من الله سبحانه.. كما يقال له كتاباً، لما استُعمل فيه من الوسائط و بتدوين حروفه علىٰ الصفحات.. فسمّي: كتاب الله.. و لكنّ كلام الله و كتاب الله لا ينحصران بما صار في أي موجود، فإنه يمكن أن يقال لهذا الموجود: كتاب الله.. مثال ذلک: الأفراد الذين يحفظون سور القرآن، يمكن أن يقال لهم، أو يوصفون بأنهم كتاب الله، بما يزيد على هذه الاوراق التي نُقشت و دُوّنت عليها الحروف.. كما ورد عن امير المؤمنين٧: «أيها الانسان! أنت كتاب مبين» وطالما كان يقول في معركة صفين: «أنا الكتاب الناطق»؛ و هنا الكثير في هذه النماذج و المصاديق في الآيات الشريفة و الروايات الكريمة.

و هنا يجب أن نقول أنّ ذلك الكتاب الذي تحت الإشاره إليه في اول سورة البقرة، هو هذا القرآن الذي بين أيدينا، و إن كان هو كتاب الله أو موجوداً آخر؛ مع تضمّن فيه كلام الله و تحصل له الثبوت؟ نقول: إنّه موجود آخر. بجملة دلائل:

١. وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ [يونس/٣٧]

و في هذا الآية يتّضح أنّ هذا القرآن هو غير ذلك الكتاب الذي لاريب فيه، بل إنّ هذا القرآن هو تفصيل ذلك الكتاب.

٢. روي في (تفسير علي بن ابراهيم القمي) بسنده عن الامام الصادق٧، قال في قوله تعالىٰ: (ذلک الكتاب لارَيب فيه): «الكتاب؛ علي [عليه السلام] لا شكّ فيه». [تفسير القمي ج ١ ص ٣٠].

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

و عبارة: «لا شكّ فيه» تفسير (لارَيب فيه) كى سنبيّن أن الشكّ غير الريب، و إنما الريبُ سببُ الشّكّ... و مقصود الإمام٧ هو أنّ أمير المؤمنين٧ هو الكتاب علىٰ وجه القطع و اليقين.

٣. روي في (تفسير العيّاشى) بسنده عن الإمام الصادق٧، قال: قال الصادق٧: «ذلک الكتاب، كتاب عليّ [عليه السلام]، لاريب فيه هدىً للمتقين، والمتّقون شيعتنا. [تفسير العياشى ج ١ ص ٢٦].

و سيتبيّن أنّ الهداية فى هذه الآية، هي المرحلة الرابعة، و التقوىٰ تقوىٰ طريق: لا تقوىٰ عمل.

٤. روىٰ الشيخ الصدوق في كتاب (الأمالي) عن رسول الله٦ بسنده، قال رسول الله٦ في قوله تعالىٰ: (قل كفي بالله شهيداً بيني و بينكم و عَن عنده علم الكتاب) قال: «ذاك أخي علي بن أبي طالب». [الأمالي للصدوق، ص ٥٦٥، مجلس ٨٣]

٥. روي في «تفسير علي بن ابراهيم القمي» بسنده عن الإمام الصادق٧ قال: «الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين». [تفسير القمي ج ١ ص ٣٦٧]

٦. روىٰ الشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» عن محمد بن أبى عمير، قال: قال الصادق٧: «و قال لصاحبكم أمير المؤمنين٧ (قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب). قال الله عزّوجلّ: (و لا رطبٍ و لا يابسٍ اِلّا في كتابٍ مبين). و علم هذا الكتاب عنده». [الاحتجاج، ج ٢ ص ٣٧٥]

٧. وروىٰ الشيخ محمد بن حسن الصفار في كتاب (بصائر الدرجات) عن امير المؤمنين و الإمام الباقر و الإمام الصادق و الإمام الكاظم و الإمام الرضا عليهم الصلاة و السلام بخمسة عشر سنداً أنّ آية: (و من عنده علم الكتاب) بخصوص أمير المؤمنين٧، إذ قال: «أنا الذي عندي علمُ الكتاب». [بصائر الدرجات ج ١ ص ٢١٢ – ٢١٦]

٨. روىٰ المرحوم العياشى في تفسيره عن الإمام الباقر٧ بأسنادٍ أربعة أنّه قال (مَن عنده علم الكتاب) أميرالمؤمنين والأئمة الطاهرون بعده. [تفسير العياشى ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٣]

٩. و نقل القاضي سليمان القندوزي الحنفي المذهب في كتاب (ينابيع المودّة) بأسانيد عن علماء المخالفين و مفسّريهم، مثل الثعلبي و أبي نعيم وابن المغازلي أنهم رووا عن أصحاب رسول الله٦ أنّ (مَن عنده علمُ الكتاب) و (كتاب مبين) هو أمير المؤمنين عليّ بن اَبي طالب3.

و هناک ما لا يحصىٰ فى الروايات غير ما مرّ، قد نقلت أن (الكتاب المبين) و (الإمام المبين) و (ذلک الكتاب) قُصد بها أمير المؤمنين٧.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

ما هو الريب؟

الريب سبب الشک، و يستعمل أحياناً بمعنى الشکّ. والشکّ عدم اليقين في إثبات شيءٍ أو نفيه. فمثلاً يقال: فلانٌ عالمٌ، حيث يمكن نسبة اليقين بثبوته. والحالة الثالثة، إذ لا يقين للاثنين. و ما لم يثبت الرأي فيه، فهو شكّ.

و سبب الشکّ: إمّا راجع إلى شخص الشاكّ، أو راجع إلىٰ المشكوك فيه، أو راجع إلىٰ جهة أخرىٰ.. و عليه؛ يكون معنى الآية: لا سبب للشکّ في ذلک الكتاب. إذ دلالتها واضحة لكل متدبّر. أمّا الشاكّون فيه، إمّا أن يُعزىٰ شكّهم إلىٰ أنفسهم، أو لجهة أخرىٰ.. و لا يمكن الريب في هذه الآية أن يكون بمعنى الشکّ، وذلک لأنّ كثيراً من الناس شاكّون في ذلک الكتاب، و كذا في القرآن..

ما هي التقوىٰ؟

التقوى على شاكلتين:

١. تقوى طريق.

٢. تقوى عمل.

أ. فأمّا تقوىٰ الطريق؛ فعبارة عن اتّباع ومشايعة المرشد للحقّ، و الامتناع عن اتّباع الضالين.

ب. وأمّا تقوى العمل؛ فعبارة عن الورع و الامتناع عن كل مخالفة لمرشد الحق و ما يأمر به ضمن طيّ الطريق؛ أعني طريق الحقّ والهدىٰ.

ذلک الكتاب؛ يعني أنّ أمير المؤمنين٧ هداية للمتورعين عن اتّباع الضّالّين، وللذين اتبعوه هو دون غيره.. فأمّا الآخرون؛ فمتروكون لحالهم.

إذن؛ فالتقوىٰ في هذه الآية تقوىٰ طريق.. وذلک الكتاب هو هداية لهكذا متقين، و إن كانوا يسيرون في طريق الحقّ ولا يراعون تقوىٰ العمل.

والهداية في هذه الآية؛ هداية تشريع. بمعنىٰ أن هؤلاء المتقين قد استجابوا لدعوة النبي بهداية العقل، و قد استوعبوا وقبلوا الشريعة التي جاذبها، إلّا أنّ الآخرين غيرهم لم يطووا مراحل هذه الهداية، و إن كانوا —حسب الظاهر– قد أجابوا دعوة النبيّ٦.

خمسُ خِصال

ذكرت في الآيات التالية لهذه الآية خمس خصال لهؤلاء المتقين:

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

١. الايمان بالغيب ٢. إقامة الصلاة ٣. الإنفاق ممّا رزقهم الله تعالى. ٤. الايمان بما أُنزل علي النبي٦؛ و ما أُنزل على الأنبياء من قبله:. ٥. اليقين بالآخرة.

والمقصود بالايمان بالغيب ليس الإيمان بالله تعالى، إذا ما لم يتحصّل الإيمان بالله، لايقال: المتقون. كما أنّ المقصود بالإيمان بالغيب ليس الإيمان بالنبوّة والمعاد أيضاً، ذلک لأنّ هذين الايمانين هما عبارة عن الخصلة الرابعة والخامسة.

و إنما الروايات الشريفة الواردة قد حدّدت هذا الايمان و وصفته بكونه الايمان بالإمام الغائبv.. والإيمان بالإمام الغائبv صفة و خصلة هكذا متقين.. لأنّ النبي صلوات الله عليه و آله و أوصياءه الاثني عشر: طالما ذكروه و وصفوه و سموّه لأصحابهم. و مَن كان له تقوى طريق وكان ثابت القدم في اتّباع الوصيّ الأول، أعني امير المؤمنينv، لاريب في يكون مؤمناً بالوصيّ الثاني عشر..

نتيجتان

إن نتيجة الثبات في طريق الحقّ هداية و لطف فى جانب الربّ الرؤوف، حيث يحفظ هذا المؤمن الثابت من الضلال و سطوة الشياطين.. و النتيجة الثانية؛ الفلاح والفوز في الآخرة.. وهاتان النتيجتان قد ذكرتا في الآية التالية، حيث قالت: (أولئک على هدًى من ربِّهم) أي: الهداية؛ وهي المرحلة الخامسة (و أولئک هم المفلحون) وهذا الفلاح هو الهداية والمرحلة السادسة .

[٢] و [٣]

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ.. العليم الحكيم) [البقرة /٣١-٣٢]

يستفاء فى هذه الآية أن ثَمَّ موجودات كانت خفيّة عن إدراک الملائكة قد علّم الله تعالى آدمَ أسماءَهم. ثم إنه سبحانه عرض تلكم الموجودات على الملائكة وأتاح لهم مشاهدتَها؛ ثم قال للملائكة: لو كنتم جديرين بخلافة الله في الأرض.. اذكروا لي اسماء هذه الموجودات إن كنتم الصادقين

فيعلم من هذا النصّ و البيان أن السر الذي كشفه الله للملائكة بعد أن قال لهم: (إنّي أُعلمُ مالا تعلمون) هذا السرّ يمكن في طبيعة معرفة تلكم الموجودات التي من ارتقى إلى معرفتها كان جديراً بالخلافة.. كما يستفاء أن تلك الموجودات والوجودات كانت ذات علم و عقل.. و ذلک أنه سبحانه قال: (وعرضهم) أي: عرض تلک الموجودات التي علّم آدمَ أسماءَهاز و ضمير (هم) يؤتى

١. بيّن المصنّف قدّس سرّه هنكلالا م في تفسير سورة الحمد، كما سيأتى نقلاً عن تفسير فاتحة الكتاب، كملحق المقال.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

به ويستعمل لموجودات ذات علم و عقل؛ مثل الإنسان والملَك و شبه ذلک.. أما الموجودات الفاقدة و المجردة عن العلم و العقل فيستعمل لها الضمير المفرد المؤنّث أو جمع المؤنّث..

هذا؛ والمقصود بالاسماء، ليس الاسم اللفظي، لأن الألفاظ الصوتية لا تستعمل للتفهيم والتفهّم في عالم الملكوت.. مضافاً إلى أن معرفة الأسماء اللفظية لاتُعدّ فضيلة تؤدي إلى الجدارة بالخلافة الإلهيّة.. وإنما المقصود من الأسماء؛ صفات و خصوصيات تلک الموجودات.. و يستعمل الاسم في اللغة والعرف بمعنى الصفة، كما هو معروف.

[٤]

(قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ .. تَكْتُمُونَ) [البقرة/٣٣]

عُلم فى الآية السالفة أن السرَّ الذيذكره الله تعالى للملائكة (إنّي أُعلمُ ما لا تعلمون) في تلک الموجودات. و يعلم فى هذه الآية، أنه غيب السماوات و الأرض، أي أنه غير متاح للملائكة و مجال مشاهدتهم، بل هو فوق مستوى إدراكهم، و اِنّما يطّلعون عليه بواسطة الإخبار.. و من هنا؛ قال الله لآدم: (أنبئهم).

مَن هم تلكم الموجودات؟

اِنهم يُعرفون من الحديث الذي أورده ابن بابويه في كتاب (معاني الأخبار).

عن الصادق جعفر بن محمد3؛ «إنّ الله تبارک و تعالىٰ علّم آدم٧ أسماء حجج الله كلها، ثمّ عرضهم؛ و هم أرواح علىٰ الملائكة، فقال: (أنبئوني بأسماء هولاء إن كنتم صادقين) بأنّكم أحقُّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم ونقديسک من آدم٧. (قالوا سبحانک لاعلم لنا إلا ما علّمتَنا إنک أنت العليم الحكيم) قال الله تبارك و تعالى: (يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم) وقفوا على عظيم منزلتهم عندالله تعالىٰ ذِكرهُ، فعلموا أنّهم - أصحاب الأسماء - أحقَّ بأن يكونوا خلفاءَ اللهِ في أرضه و حججه على بريّته، ثم غيّبهم عن أبصارهم واستبعدهم بولايتهم و محبّتهم؛ وقال لهم: (ألم اَقل لكم إني أعلم غيبَ السماوات و الأرض وأعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون» [كمال الدين، ج ١، ص ١٤]

ومن هذا الحديث يُعلم أن كانت الملائكة تكتمه في بواطنها: الاعتقاد بأنهم أجدر وأحقّ من آدم في الخلافة، وذلک أنهم لم يظهروا هذا الاعتقاد والرأي، وإنما قالوا (نحن نسبّح بحمدک و نقدّس لك)

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

وكذا يتّضح بجلاء من هذا الحديث أن الخلافة الأوّلية من جهة الله تعالى لأهل البيت:، وإنما استحق الأنبياء جميعاً قد استحقوا مقام الاستخلاف، لأنهم عرفوا مقامَ أهل البيت: بتعليمٍ من الله تبارك و تعالىٰ.. وأنهم - أهل البيت المعصومين الاربعة عشر- فوق الملكوت، وذلک أن الملائكة كانوا مطّلعين من قبل على ملكوت السماوات والأرض، و لكن لم يكونوا مطّلعين على مقام المعصومين.. أمّا آدم و سائر الأنبياء:؛ فقد تقدّموا على الملائكة، باعتبار أن معرفتهم بعظمة مقام المعصومين - مقام الولاية و الخلافة الكلّيّة المطلقة- أضحت مقدمة و صارتأكملَ من معرفة الملائكة.

[٥]

(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [البقرة/٥٣]

الفرقان؛ هو كلّ شيءٍ يتم الفصل بسببه بين شيئين، فيمتازان عن بعضها بواسطته.. مثل العقل الذي هو فرقان و سببٌ في امتياز الانسان عن الحيوان.. ومثل الإيمان الواقعي الذي هو فرقان و سببٌ في امتياز و تميّز المؤمن عن المنافق، مع أن المؤمن و المنافق متشابهان فى حيث إظهار الإيمان. و في هذه الآية المباركة، وجدنا المقصود بالفرقان ما امتاز به المهتدي عن الضال في أمة موسى على نبينا وآله و عليه السلام وعُرف، مع أنهما متشابهان في إظهار الايمان و قبول التوراة.. والدليل علىٰ هذا؛ عبارة (لعلّكم تهتدون) أي أن امكانية الاهتداء تتحقّق لكم يا أمّةَ موسىٰ بهذا الفرقان الذي أُوتيه موسىٰ.. وذلک أن جميع أفراد أمة موسىٰ على نبينا و آله و عليه السلام مشتركون في الكتاب.. والذي يتيح الهداية و الرشاد هو الفرقان..

وهكذا يكون إيضاح القول والمراد؛ أن: يا أمة موسىٰ التي تقبّلت كتاب موسىٰ وآمنتِ بموسىٰ.. قد آتينا موسىٰ فرقاناً تتحصل و تُحرز به الهداية، و فى دونه لن تحصل لكم الهدايةُ أبداً. و قد قيل إن حتىٰ ما أورد القرآن المجيد كلمة (لعلّ) فإنها توحي بإمكانية تحقّق المطلب في آخر المطلب السابق.. و عليه؛ فالقرقان شيءٌ آتاه الله موسىٰ علىٰ نبيّنا و آله و عليه السلام، و بسببه حصل و يحصل التمييز بين الأفراد الضالين عن غيرهم

و قد ورد في التفاسير؛ في إطار تبيين و تحديد حقيقة ذلک الفرقان كلامٌ كثير.. و لكنّ ما سيتفاد فى أحاديث المعصومين الطاهرين: المتوفّرة بين أيدينا، أن ما لا يتقبّل الله به من أعمال الماضين واللاحقين من بين البشر؛ بل وغيرهم؛ إلا ما كان متقرناً بمحبة محمد و آل محمد عليهم

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

الصلاة و السلام و الإقرار بعظمة مقامهم و أفضليتهم على جميع الخلائق، وأنه عزوجل قد أخذ — بدلالة الآيات و الأخبار– من الانبياء العهد و الميثاق، ثم أكرمهم بمقام النبوة، كما أمرهم بأن يأخذوا العهد من أممهم و أقوامهم والإقرار به.. مثل ما أخذ سبحانه و تعالىٰ في عالم الذى من بني آدم ذلک الميثاق العتيد، وقد أقرّت الأمم السالعة؛ –كما هو الشأن في هذه الأمة– بهذا الميثاق.. وصار الأفراد وحجاعات منهم تواضع قلبي و محبة للمعصومين الاربعة عشر عليهم الصلاة والسلام.. فيما اختار أفراد وحجاعات أخرىٰ مسلكَ انفاق و الانكار.. وهذا ما ميّزَ الضالين عن المهتدين.

[٦]

(يا أيها الذين آمنوا..) [البقرة/١٠٤]

ذكر في الأحاديث والتفاسير أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله٦ كلمة (راعنا) أي: راعِ حالَنافيما يرتبط بالأوامر والنواهي.. ثم إن يهود المدينة وما حولها كان يأتون النبي الأكرم وتيفوهون بهذه في محضره. و لقد كان لهذه الكلمة معنىً آخر في اللغة العبرية و هو: اسمع و لتصمَّ أُذُنک، و كانوا يقصدون بها هذا المعنىٰ، ولا يقصدون ما يريده المسلمون. فالتفت سعد بن معاذ الذي كان من المسلمين الانصار إلىٰ مقصود اليهود [وقد ورد في بعض التفاسير أنهم كانوا يتلفّظون بهذه الكلمة على سبيل الاستهزاء] فهى سعدٌ اليهود قائلاً: إذا تفوّه اليهود بهذه الكلمة مرة أُخرىٰ وسمعها الرسول أو المسلمون، ضربوا أعناقهم بالسيف.

فقال اليهود: ولكن المسلمين يستعملون هذه الكلمة أيضاً.

فقال سعد: المسلمون يقصدون بها خيراً، وأنتم تقصدون بها السبَّ والسخرية.. منزلت هذه الآية وأمرت المسلمين أن يقولوا: (انظرنا) بدلاً فى كلمة (راعنا) و أن للكافرين – اليهود– الذين يقصدون بها السبَّ والاستهزاء عذاباً أليماً...

وهذه الآية كانت الأولىٰ –حسب الترتيب القرآني– التي وردت فيها عبارة (يا أيّها الذين آمنوا) وقد تكررّت في كتاب الله تعالىٰ ثمانين مرّة

وفي الحديث الوارد فى طرق الشيعة و المخالفين، كما أورده صاحب تفسير (الدرّ المنثور) أن رسول الله٦ قال: «ما أنزل الله آيةً فيها (يا أيها الذين آمنوا) اِلّا و عليٌّ رأسها و أميرها»، وهذا دليل سيادة و قيادة أمير المؤمنين٧ في عهد الرسول و ما بعده..

[٧]

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...) (البقرة/١٢٤)

الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم٧ و امتحنى -كما ورد في الروايات- هي ذات الكلمات التي تلقّاها آدم علىٰ نبينا و آله و عليه السلام من ربّه المتعال، وبها تابَ الله علىٰ آدم.. والكلمات هي: الاسماء الطاهرة لمحمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم..

وإن المقصود بالكلمات والاسماء ليست حروفها و لفظها، وإنما هو مقاماتهم، كما هو المعروف بين العرب أن الاسم واللفظ يستعمل في الصفة، وذلک أن الآثار و الخصوصيات لهذه الكلمات التي ترد في القرآن المجيد لا تحصل من مجرّد الألفاظ.. وصفتهم صلوات الله عليهم؛ مقام قربهم من الله تعالى، كما تقدم ذكر ذلک في تفسير الآيتين (٣١ و٣٧) من سورة البقرة.

والابتلاء والامتحان عبارة عن أن يعطي الرجل من العلم آو المال آو غير لالك مشخصاً ما، ليظهر منه مدىٰ إعطائه هذه الأمور حقّها.. وليس مهماً أن يكون الممتحِن عالماً أو جاهلاً، فلر بما يكون عالماً بكل شيءٍ، أو عالماً و جاهلاً نسبياً. وبالنتيجة؛ يكون الممتحَن إذا ما أولىٰ ما امتُحِنَ به حقَّه جديراً بالثناء والعطاء.

لقد امتحن الله تعالىٰ نبيَّه ابراهيم٧ بمعرفة مقام أهل البيت:، أي أنه أعطاه معرفتهم.. فأتمّها إبراهيم٧ [ومقامهم الإمامة والولاية الكلّية، بالنسبة لإبراهيم، وإلا فإن الامامة أحد شؤونهم عليهم الصلاة والسلام] فابراهيم فهم ما كان جديراً بالمعصومين وحفظه وعرفه وأقرّ واعترف به.

ثم إن النبي إبراهيم٧ استحق عطاءً آخر؛ أي: غير المعرفة بهم:، وهي مورد امتحانه وابتلائه.. فهو قد أُعطي مقام الامامة بعد النبوة على الناس، بما يناسبه هو، لا الإمامة المطلقة، والمقصود بالناس هنا هم الأنبياء الذين هم من ذرّيّته..

ثم إنه سبحانه بشّره بما أعطاه قائلاً: (إني جاعلک للناس إماماً) فقال إبراهيم٧: (و من ذرّيتى)؟ وكلام إبراهيم هذا إما استفهامٌ، أي: هل أنّ أحداً من ذرّيّتي سينال و يحفظىٰ بهذا المقام.. وإما أنّه٧ طلب فى الله تعالىٰ أن يعطي جماعةً فى ذرّيّته مثل هذا المقام..

أما الله تعالىٰ: فقد اختار الجهةَ السلبية لدىٰ الإجابة على سؤال إبراهيم٧ دون الجهة الايجابية، فقال عز من قائل: (لاينال عهدي الظالمين) والظلام كافر أو فاسق.. عامد أو جاهل أو ساه..

ويفهم فى هذه الآية الشريفة أن الجدير بالإمامة يلزم أن يكون معصوماً؛ لم و لن يصدر منه كفر أو فسق بجميع أحواله.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

إن مرتبة الامامة بالنسبة للانبياء والآوصياء أُسمىٰ من مرتبةَ النبوّة والرسالة، كما هو الوارد في كثير من أحاديث الحديد فى الأئمة:.. و قد روي أن الله تعالىٰ اتخذ إبراهيم٧ نبيّاً قبل أن يتِخذه رسولاً، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً.. فخاطبة بالقول: (إني جاعلک للناس إماماً) فقال إبراهيم ناظراً إليٰعظمة مرتبة الإمامة: (و من ذرّيتي)؟ فقال الله: (لاينال عهدي الظالمين)

[٨]

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة/ ١٤٣]

وردت كلمة (أمّة) بعدّة معاني: مثل المقدار من الزمن، والطريقة والشاكلة، و الجماعة ضمنى طريقة و ممشىٰ، وأهل حقبة زمانية، و القائد و الزعيم، والعالم، والرجل الفريد الفذّ، والإنسان الجامع للفضائل، وكلّ نوع من الحيوان..

و في الاصطلاح: كل جماعة متبّعة لنبيّ؛ و تنسب إليه..

والأمة لغةٌ: الجماعة علىٰ دين أو عمل أو طريق أو مسكن تجتمع عليه. ومن هنا؛ قيل لأهل زمان ما: أمة. كما يقال لنوع من الحيوانات: أمة. وكذا لأهل الدين الواحد، و ينسبون للنبي صاحب ذلک الدين.

وأصل (الأمّة) الأمّ، بصيغة المصدر، و بمعنىٰ القصد.

و علىٰ هذا؛ صار معنىٰ الأمة: الجماعة علىٰ قصد و مسلكٍ واحد.. وقد وردت كلمة الأمّة في آيات قرانية، مثل: (أمّة مسلمة) و (كنتم خيرَ أمةٍ) و (لتكن منكم أمّة).

كما وردت في الآية الثانية من هذه الآيات، وفي آيات أخرىٰ أحاديث جمعّة عن الأئمة الطاهرين:.. إذ قال المعصوم: نحن الأمة في هذه الآيات. وأن المقصود: الأئمّة بعد النبي٦.

وفضلاً عن تلكم الأحاديث، فإنّ في الآيات نفسها ثَمّ شواهد تدلّ علىٰ أن الأمة المشار اليها ليست جميع أهل الإسلام، وإنما هي عدّة مخصوصة.. وفي الآية محطّ الحديث ثَمّ شاهدان:

أحدهما: صفة الوسطية.. والكون على الوسط هو مقام العصمة، وذلک أن مَن لم يكن معصوماً، فإنه من حيث الاعتقاد أو الأخلاق أو العمل، وسواء كان عالماً أو جاهلاً، تراه يتّجه إلىٰ الإفراط أو التفريط، إذ الوسط حالةٌ وصفةً لا ينالها التفريط أو الإفراط فى جهة من الجهات. وقد قال علماء الأخلاق والنفس: الوسطيّة غير ممكنة لأحدٍ ما.. ولكن علماء الشيعة قالوا: الوسطية ممكنة

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

للمعصوم [والمعصوم صاحبها و مالكها] و المعصوم في أمّة النبيٓ ليس غير أهل البيت: بإجماع أهل الإسلام..

والأمر القطعي وغير المختلف عليه أن أكثر أفراد الأمة لم يمونوا في حدّ الوسط، بل إن جماعة [هكذا هم] ممتازون بصفة العصمة، وهم أهل البيت:.. لاغير..

الثاني: موضوع الإدلاء بالشهادة.. حيث قالت الآية: [وكذلک جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداءَ علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً]

و لكن! لماذا يريد الله لهم أن يشهدوا علىٰ الناس؟ يفهم من آيات أخرىٰ أنهم سيشهدون في يوم القيامة وفي محضر العدالة الإلهية.. وهؤلاء -الشهداء- قد جعلهم الله تعالىٰ في مصافّ الأنبياء: -بل أعلىٰ واسمىٰ-.

إذن! فالأمّة الوسط هم فريق شهود من قبل الله سبحانه على الناس، حيث قال: (جعلنا) أي: جعلناكم أمّة وسطأ لتشهدوا.. فالآخذ للشهادة هو الله تعالىٰ، حيث جعل الأمة الوسط شاهدةً على الناس.

و إن للشهادة مرحلتين:

- مرحلة التحمل، حيث يطّلع الشخص على واقعة وحادثة وحقيقة ما، وهذه المرحلة تدعىٰ في الاصطلاح: (شهادة التحمل) أي أن شخص الشاهد يتحمل حادثة و يحفظها عنده.

- مرحلة الأداء، فإذا طُلبت الشهادة منه عند قاضٍ أو حاكم أو صاحب حق.. أظهر شهادته بخصوص تلک الواقعة و الحادثة، ويقال لهذه: (شهادة الاداء).

و قد ورد موضوع الشهادة في آياتٍ كثيرة فى القرآن الحكيم.. وقد جعل الله تعالىٰ الأنبياء من جملة الشهود.. لاسيما نبيّنا الأكرم صلوات الله عليه و آله.. كما وضع سبحانه أفراداً آخرين في مصافّ الأنبياء وذكرهم تحت عنوان الشاهد.

وفي بعض الآيات؛ ذكر معنى شهادة التحمّل، وفي بعض آخر؛ ذكر معنىٰ شهادة الأداء في يوم القيامة الكبرىٰ.

ومن هنا؛ يتبيّن من هذه الآية الشريفة أن الأمّة الوسط ينبعيٰ أن تكون ممّن تتوفّر فيهم صفة الشهادة والاطّلاع والعلم بجميع أعمال العباد الظاهرة و الباطنة.. كما يلزم أن يكون أولئک الافراد ذوي قوّة قدسية ملكوتية ليتمكّنوا من تحمّل الشهادة على الناس، وفي يوم القيامة و في محضر العدل

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

الإلهي يظهرون شهادتهم.. و لا يتمتّع بالقوّة القدسية الملكوتية إلّا نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ.

و من جملة الأحاديث التي تمّت الاشارة إليها؛ حديث وارد عن الإمام الباقر٧، حيث قال:

«لايكون شهداء على الناس إلّا الأئمّة والرسل، فأمّا الأمّة؛ فإنّه غير جائزٍ أن يستشهدها الله تعالىٰ على الناس وفيهم مَن لا تجوز شهادته في الدنيا علىٰ حُزمةِ بقل» [مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص ١٧٩].

[٩ - ١٠]

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُريدُ. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ.) [البقرة/ ٢٥٣-٢٥٤].

مطالب هاتين الآيتين:

الآية الأولىٰ صريحة في أنّ درجات الانبياء متفاضلة، وقد وردت أحاديث نبويّة شريفة كثيرة أكّدت أنّ أولي العزم هم الأفضل، وأنّهم أفضل من سائر الانبياء.

وروى الشيخ الصدوق في كتاب (عيون أخبار الرضا٧) عن مولانا الإمام الصادق٧ قال: «قال عليٌّ٧: فقلت: يا رسول الله! فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال٦: يا علي! إنّ الله تبارك و تعالىٰ فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، و فضّلني علىٰ جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمّة من بعدك، وإنّ الملائكة لَخُدّامنا وخدّامُ محبّينا» [عيون أخبار الرضا٧، ج ١، ص ٢٦٢].

و يفهم من الآية بصراحة أنّ أمم الأنبياء قد اختلفت بعدهم و صارت كلّ أمة بعد نبيّها فرقتين حتىٰ تقاتلتا، فكانت فرقة مؤمنة و فرقة كافرة. و لو أراد الله تعالىٰ، ما اختلفتا وما تقاتلتا، ولكن الله يفعل ما يريد، أي أنّه سبحانه لم يرد لهم الوفاق جبراً، و إنما أراد أن يكون لهم الخيرة ليظهر ما في بواطنهم، و ليمتاز المنافق من غير المنافق.

وهذا ما وقع في هذه الأمّة. و قد ورىٰ في (تفسير العياشي) عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب٧ يومَ الجمل.. فجاء رجل حتّىٰ وقف بين يديه؛ فقال: يا أمير المؤمنين! كبّر القوم وكبّرنا، وهلّل القوم و هلّلنا. وصلّى القوم و صلّينا، فعلامَ نقاتلهم؟ فقال: «علىٰ

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

هذه الآية: (تلک الرّسلُ فضّلنا بعضهم على بعض منهم مَن كلّم الله ورفع بعضَهم درجاتٍ و آتينا عيسىٰ بن مريمَ البيّنات وأيدّناه بروح القُدُسِ ولو شاء الله ما اقتتل الذين مِن بعدهم) فنحن الذين مِن بعدهم (مِن بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم مَن آمن و منهم مَن كفر و لو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ اللهَ يفعلُ ما يريد) فنحن الذين آمنّا وهم الذين كفروا» [تفسير العياشي، ج ١، ص ١٣٦]

... ووقعت حرب الجمل بين أمير المؤمنين٧ وأصحابه وبين عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم.

و قال في الآية الثانية: (أنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي يوم...) و المقصود من ذلک اليوم؛ يوم الموت. (لا بيعٌ فيه ولا خُلَّة ولا شفاعة..) فلا معاوضة في يوم الموت، ولا صداقة، أي لا يُنقذُ صديقٌ صديقَه، ولا شفيعٌ يخلّصه من مخاطبِ الموت..فملک الموت لا يسمحُ لأحدٍ أن يشفعَ فى من جاء أجله..

و يمكن أن يكون المقصود باليوم؛ يوم القيامة.. وعلى هذا، يكون معنىٰ و تفسير الصداقة والشفاعة أنّ فيهما استثناءً.. باعتبار أنّ آل محمدٍ صلوات الله عليهم أجمعين يأخذون بيد شيعتهم و محبّيهم، فيشفعون لهم إن شاء الله ربُّ العالمين.

ملحق:

أورد المصنّف ستَّ مراحل للهداية في تفسير سورة الحمد، ولمزيدٍ من فهم مراده، ننقل ذلک من تفسير سورة الحمد.

الهداية

يرشد الله تعالىٰ الانسان ضمن ستّ مراحل إلىٰ الهدىٰ:

المرحلة الأولىٰ: الهداية التكوينيّة، وهي عبارة عن توفير وسائل التكامل حسب التقدير، ولهذه المرحلة عمومية في كلّ موجود، كما قال سبحانه و تعالىٰ: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [سورة طه/٥٠]

وكذا قال: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى*وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) [سورة الأعلىٰ/٢-٣]

والضلالة فى هذه المرحلة تنتهي عند فناء الموجود فيها الإنسان، في هذه المرحلة لاضلالة له؛ لأن بقاءه أبدي..

المرحلة الثانية: هداية العقل، وإن عطاء العقل للإنسان و غير الإنسان، حيث يقاد به بما لاتُقاد

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

به الموجودات غيرالعاقلة.. و من جملة قيادة العقل، الحكم بقبول كلّ كلام حقٍ وارد من جهة الله تعالىٰ. والضلالة في هذه المرحلة عدم اتّباع الحقّ رغم التأكّد من مطلبٍ ما وكونه لازماً بحكم العقل.. ثم إنّ انحراف ابن آدم تبدأ من هذه المرحلة، وذلک أنّ أحد أحكام العقل وجوب التحقّق من صدق دعوىٰ مدّعي النبوّة الإلهية.. أما إذا جرىٰ تجاهل ما حكم به العقل.. فإن الضّلالة تبدأ من هذه النقطة.. ويكون الإنسان قد عرض نفسه باختياره إلىٰ الضياع.. وقد أشار القرآن المجيد إلىٰ هذه المرحلة، قال تعالى: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [سورة الأعراف/١٧٩].

المرحلة الثالثة: هداية الدعوة، وهي عبارة عن أنّ الله تعالىٰ يبعث نبيّاً، فيدعو الناس إلىٰ الله تعالىٰ و دينه، ثم يقودهم ضمن مسار التكامل الروحي. والضلالة في هذه المرحلة؛ أن يرفضَ الإنسان -عالماً متعمّداً- دعوة النبيّ الهادي، فلا يقرّ له بنبوّته، كما فعل أكثر أهل الكتاب تجاه نبيّنا الأعظم٦.. حيث عرفوه وأنكروه عن علم.. وبهذا الصّدد قال القرآن الحكيم: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [سورة القصص/٥٠]

و واضح جدًّا أنّ ضلال الإنسان في هذه المرحلة، ناتج عن هوىٰ النفس دون سواه.

المرحلة الرابعة: هداية التشريع، وهي عبارة عن بيان الدّين والشريعة و الأحكام والآداب؛ ليتمكّن من قِبل الدعوة وآمن بالنبيّ من طيّ مسار التكامل بالعلم والعمل..

والضلالة في هذه المرحلة حيث لا يرتقي الإنسان إلىٰ مقام العلم والعمل بالدين، مع كونه قد آمن به.. ومعلوم أنّ إيمانه سيضعف ويزول شيئاً فشيئاً.. فإذا ما ترک العلم والعمل أو كان إيمانه إيماناً صوريا وغير واقعي.. فهذا هو النفاق، والضلالة في هاتين المرحلتين كالمرحلتين السابقتين، حيث تكون الضّلالة من جانب الإنسان نفسه، لاسيّما وأنّه سبحانه وتعالىٰ قد وفّر وسائل الهداية كلّها..

المرحلة الخامسة: هداية اللّطف، وهي خاصّة بالمؤمن الواقعي المراعي للتقوىٰ: الملتزم بالدّين علماً وعملاً.. وهي كذلک؛ عبارة عن أنّ الله تبارك اسمه يتلطّف بعبده عبر الملائكة أو غيرهم، حيث يحول بينه وبين الشيطان؛ فلا يدعه ينحرف عن سبيل الدين، أو يتسلّط على قلبه.. فيأخذ بيده طيلة عمره وأثناء تعرّضه للحوادث والمخاطر، ليعبر من الدنيا بسلام.. وهذا الدور الإلهي يُدعىٰ لطفاً، وهو في كثير من مصاديقه خافٍ على الانسان.. والله تعالىٰ يخاطب الشيطان بخصوص عباده

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

هؤلاء بالقول: (إنّ عبادي ليس لک عليهم سلطان) [سورة الحجر/ ٤٢]

والضلالة في هذه المرحلة من جهة الله عزّوجلّ، ولكنها غير قبيحة، وذلک لأنّها في هذه المرحلة ترك للألطاف الإلهيّة، ومنشأها أنّ العبد لم يجعل نفسه ولم يضعها في طريق الهدىٰ.. فيكله الربّ الجبّار إلىٰ نفسه و يخلّي بينه و بين الشيطان.

وطلب الهداية في سورة الحمد، حيث المؤمن يدعو الله ليوفّقه لها.. وهذه مرحلة فى الهدىٰ، لأنّ الشخصَ المصلّي قد طوىٰ المراحل الأربعة السّابقة، وكذلک في كلّ مورد من القرآن حيث قال سبحانه: «يُضلّ» هو عائد اِلىٰ هذه المرحلة وإلىٰ المرحلة السادسة، وذلک أنه تعالىٰ لم يحرم إنساناً من هداية التكوين والعقل ودعوة الأنبياء والعمل بالشريعة.. بل إنّ ما يستوجب الهداية متوفّر لجميع أفراد الانسان بشكل كامل.

المرحلة السادسة: هداية الجنة (الجزاء) وهي في الآخرة، حيث يهدي الله أهل الإيمان والتقوىٰ الذين طووا المراحل الخمس المذكورة.. يهديهم إلىٰ درجات الجنان ويقود كلاً منهم إلىٰ مقامه.. وكذلک الضلالة في هذه المرحلة تصدر عن الله تعالىٰ ، ولكنّها ليست سوىٰ عقابٍ لانحراف العبيد؛ الذين لم يطووا المراحل المعهودة باختيارهم.. وقد ذكر القرآن المجيد هذه المرحلة بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [سورة يونس/ ٩]

والهداية في كلّ واحدة من هذه المراحل الستّ متوقّفة على المرحلة السابقة، إذ لولا اقتران خلقة الإنسان بحالته العقلية، لما أضحىٰ – هذا الإنسان– مخاطباً بدعوة الأنبياء، و لولا دعوة الأنبياء ما كان ثمّ تشريع، و لو لم يُتح للانسان طريق للشريعة؛ ما شملته الألطاف الالهيّة.. و مَن لا تشمله الألطاف الإلهية؛ لا يجد طريقاً إلىٰ الجنّة.. وعن هذه المراحل قال سبحانه: (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة البقرة/٦٤].

إن فضل الله ورحمته مراحل هداية و ألطاف الله التي جرىٰ بيانُها. وحيث أنّ كلّ واحدة في هذه المراحل متوقّفة على المرحلة السابقة لها، فإنّ الإنسان إذا ما كان ثابتاً رصيناً في مرحلةٍ ما، فإنه سيردُ المرحلة التالية، وإلّا فهو سينحرف في تلک المرحلة السابقة، اللهم إلّا في المرحلة الأولىٰ و الخامسة و السادسة، حيث لا اختيار له فيها، أما في المراحل الثلاث الأخرىٰ؛ فالاختيار متاحٌ للانسان، حيث ينقبل هداية الله تعالىٰ؛ أو لا يتقبّل...

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-14]